ماذا كنت ستفعل لحماية الكتب التي تحبها؟

كانت لحظة تاريخية أسرت القلوب في جميع أنحاء العالم، حينما خرج آلاف المصريين من طلاب وموظفين بالمكتبة ومتظاهرين، وتشابكت أيديهم حول مكتبة الإسكندرية في صمود لتشكل سلسلة بشرية هدفها حماية المبنى الزجاجي من أي ضرر جرَّاء الأضطرابات التي صاحبت الأحتجاجات واسعة النطاق. إنها تلك اللحظة التي كشف فيها شعب مصر عن حبه للكتب والمكتبات، وهو الحب الذي استطاع أن يوحد دولة بأكملها على قلب رجل واحد، حتى في لحظات الاضطراب وعدم الاستقرار.

تسرد قصة «أياد حول المكتبة» هذه اللحظة التاريخية المجيدة، وذلك من خلال سطور معبرة ورسومات كولاج زاهية. وسيفتح هذا الكتاب أبوابًا للنقاش، ويؤكد على أهمية الكتب والمكتبات في حياتنا.

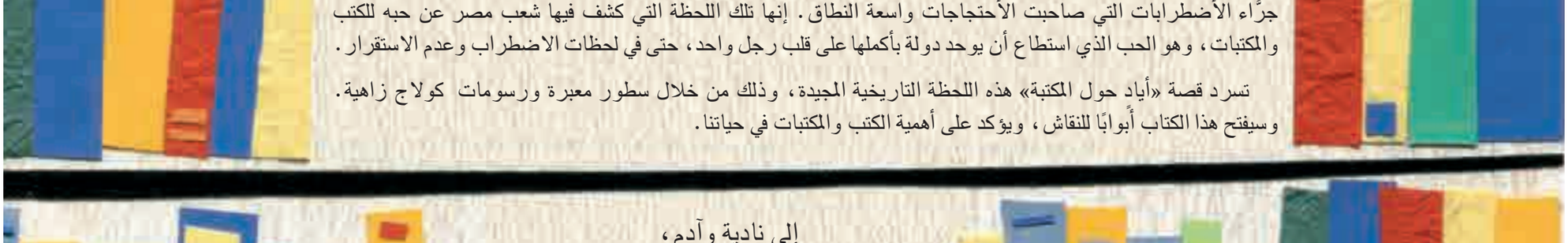

إلى نادية وآدم،

اللذين يتطلعان للمستقبل أمامهما والأمل يملأ قلبيهما

– كارين ليجيت أبو ريا

إلى إيفا جين وليو بول، مع الحب والتقدير

– سوزان إل. روث

شكراً

إلى إسماعيل سراج الدين: "الحرية والمكتبات: لاينفصلان" – كارين ليجيت أبوريا

أيادٍ حول المكتبة

حماية ثروة الكتب المصرية

تحرير النسخة الأصلية الإنجليزية

سوزان إل. روث

وكارين ليجيت أبو ريا

كولاج سوزان إل. روث

الترجمة العربية

مكتبة الإسكندرية

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

مكتبة الإسكندرية

في يوم من الأيام،
ومنذ وقتٍ ليس ببعيد،
كانت جموع الشعب المصري
حزينة بل وأحيانًا غاضبة،
فلم يكن للشعب الحق في التعبير عن رأيه،
أو اختيار من يمثله بحُرية،
أو حتى التجمع والتظاهر.
ولم يكن الشعب يعرف معنى الحرية إلا
من خلال الكتب،
أو الإنترنت،
أو الهمس داخل الحوائط الآمنة
لمكتبتنا؛ مكتبة الإسكندرية.

وأخيرًا قرر الشباب المصري
أنه قد آن الأوان
ليجهر بصوته ويُسمع الجميع،
وبدأ الشباب في التوافد إلى الشوارع.

في البداية، خرج الشباب في مسيرات في القاهرة،
وسرعان ما انتقلت التظاهرات في الإسكندرية أيضًا.
ارتفعت أصوات بالهتاف،
وتبعهم الكثير.

وقد كنت جزءًا من هذه القصة.
حيث انضممت إلى التظاهرات في الإسكندرية.
كنت متحمسة ومفعمة بالأمل.
ولكني كنت خائفة.
ففي بعض الأماكن في مدينتنا،
اندلعت أعمال العنف بين صفوف المتظاهرين،
وأشعلوا النيران في بعض السيارات ومركز شرطة.
وفي طريقنا إلى المكتبة،
ازددُت قلقًا.
وسألت نفسي: "ماذا لو حاولوا حرق المكتبة؟"

فمكتبة الإسكندرية،
التي بُنيت في نفس موقع المكتبة القديمة،
هي أجمل مبنى حديث رأته مصر.
حكاياتنا المصرية القديمة
لا تزال حية هنا؛
في الكتب،
ونقوش الجدران،
وألواح الزجاج،
داخل المبنى نفسه.
لقد كنا أحرارًا داخل المكتبة حتى لو لم نكن أحرارًا
خارجها.
لا يمكن أن ندع مكتبتنا تحترق!

كنت أسمع خطى الأقدام تحيط بي،
ودويّ الهتافات.
ربما كان ذلك الصوت مجرد صوت شعب مسالم،
يطالب بالحرية.
ولكن ماذا لو ازداد الغضب
ليطال بعض المتظاهرين،
أو يطالني،
أو ينال من مكتبتنا!

تدفقت الجموع
تتظاهر من أجل الحرية،
وكانوا أشبه بركوب موجة
من موجات البحر المتوسط.
ورآنا الدكتور إسماعيل سراج الدين، مدير المكتبة،
ونحن نقترب.
فنادى قائلاً: "لا يوجد للمكتبة أبواب يمكن إحكام
غلقها، فأبوابها كلها زجاجية.
ليس هناك ما يمنع أي شخص
من تدمير هذا المبنى
بكل ما يحويه من كنوز،
سوى إرادة الشعب."

بدأت جموع المتظاهرين
تقترب أكثر فأكثر من المكتبة.
وتدفقت الحشود من حولي على الرصيف،
وهم يهتفون ويلوحون بلافتاتهم.
حتى وصلنا أمام المكتبة.
ووقفنا على سُلَّمها.
بدأت الهتافات تتزايد، والصوت يعلو.
وفجأة خرج شاب من بين صفوف المتظاهرين،
واندفع نحو الدكتور سراج الدين...

وأمسك بيده.
ثم تبعته إحدى الفتيات،
وأمسكت بيده الأخرى.
وبدأت الأعداد تتزايد؛
خمسة ثم ستة ثم سبعة ثم عشرة،
وقد تشابكت أياديهم جميعًا
لحماية المكتبة.

الشعب
يريد
إسقاط النظام

ودخلتُ أنا أيضًا في هذه الدائرة
التي أخذت تتسع
أكثر فأكثر
حول المكتبة،
في اتجاه الكورنيش.

وحمل عدد من المتظاهرين
علَمًا ضخمًا أعلى سُلَّم المكتبة،
ثم هتف الجميع
"بنحبك يا مصر!"

ورفع طفلٌ صغيرٌ علَمًا آخر ،
وكان العَلَم أطول منه مرتين.
وأخذ الطفل يلوح به أمام الدكتور إسماعيل سراج الدين،
الذي ارتسمت على وجهه ابتسامة رقيقة،
وقال "شكرًا لكم لمساعدتنا في حماية المكتبة.
فاستمروا في الرحلة التي بدأتموها،
لخلق عالم أفضل! "
"أشكركم"، قالها متأثرًا.
"أشكركم من أعماق قلبي".

وفي ذلك اليوم،
سمع العالم كله كلماته،
وشاهد مكتبتنا،
مكتبة الإسكندرية،
التي أحاطت بها
الأيادي المتشابكة في حلقة هائلة.

ولأننا جميعًا
دافعنا عن مكتبتنا،
مكتبة الإسكندرية
في يوم من الأيام ومنذ وقتٍ ليس ببعيد،
لا تزال المكتبة صامدة حتى يومنا هذا
تحمل قصصنا جميعًا.

Bibliotheca Alexandrina

Bibliotheca Alexandrina

إلى اليسار: خرج الشباب المصري من بين جموع المتظاهرين وتشابكت أيديهم لحماية المكتبة والقبة السماوية.

إلى اليمين: يحمل شباب مصر من جميع الأعمار والأديان علَمًا ضخمًا وضعوه على سُلَّم المكتبة.

يلوح إسماعيل سراج الدين، مدير المكتبة، (في وسط الجموع بسترته الرمادية) للمتظاهرين خارج المكتبة، بينما يلوح الأطفال بأعلامهم دعمًا للثورة.

Bibliotheca Alexandrina

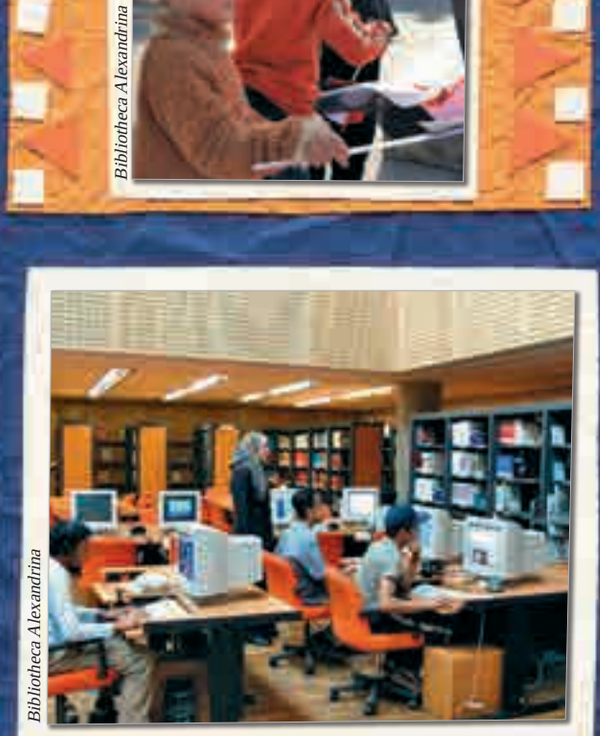
Bibliotheca Alexandrina

Susan L. Roth

إلى اليسار: صورة لشيماء سعد، أخصائي مكتبات بمكتبة الطفل سابقًا.

إلى اليمين: صورة لمكتبة النشء بمكتبة الإسكندرية.

Bibliotheca Alexandrina

Bibliotheca Alexandrina

إلى اليسار: سقف المكتبة المائل الذي يسمح بدخول ضوء الشمس إلى داخل المبنى.
إلى اليمين: الحائط الجرانيتي للمكتبة يتضمن نقوشًا يدوية وحروفًا من مختلف الثقافات والأبجديات والعصور.

Adam Abouraya

صمم المعماريّ النرويجي المكتبة؛ بحيث توحي لزوارها بروح الانفتاح والرغبة في الاكتشاف في كل طابق من طوابقها.

Adam Abouraya

Adam Abouraya

Adam Abouraya

Bibliotheca Alexandrina

يفصل بين المكتبة وكورنيش البحر المتوسط طريق واسع. وقد امتلأ هذا الطريق عن آخره بجموع المتظاهرين في الثمانية عشرة يومًا التي سبقت تنحي الرئيس المصري السابق حسني مبارك عن منصبه.

الإسكندرية، قديمًا وحديثًا

المكتبة القديمة

تقع مكتبة الإسكندرية، التي حماها الثوار، بالقرب من موقع مكتبة الإسكندرية القديمة.

يحكى أن أحد الملوك والذي عُرف باسم بطليموس أراد أن يجمع كل المعارف في مكان واحد، ولذلك بنى مكتبة الإسكندرية العظيمة منذ حوالي ٢٠٠،٣ عام. وكان على السفن القادمة إلى ميناء الإسكندرية أن تسلم مخطوطاتها إلى المكتبة ليقوم الكَتَبة بنسخها قبل ردها إليهم. وكانت هذه المخطوطات تُصنع من نبات البردي، الذي ينمو على ضفاف نهر النيل.

منذ عام ٣٠٠ قبل الميلاد حتى عام ٤٠٠ ميلاديًا، كانت المكتبة مركزًا للدراسة وتبادل الأفكار يجمع كبار المفكرين والعلماء والرياضيين والشعراء. وكان بها حديقة حيوانات؛ حيث يستطيع العلماء إجراء دراسات على الحيوانات، مثل التماسيح.

لا أحد يعرف على وجه التحديد حقيقة ما حدث للمكتبة القديمة.

تروي إحدى القصص أن الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر أشعل النيران في السفن المصرية في ميناء الإسكندرية، ثم حملت الرياح النيران إلى المكتبة. وتعزو قصص أخرى حريق المكتبة إلى بعض القادة المسيحيين أو المسلمين الذين حرقوا الكتب التي لا تتفق مع معتقداتهم.

المكتبة الحديثة

في عام ٢٠٠٢م، تم افتتاح مكتبة الإسكندرية الجديدة، التي تحمل نفس الاسم اللاتيني القديم "Bibliotheca Alexandrina"،

كانت الشمس رمزًا هامًّا في مصر القديمة، ويرمز الشكل الدائري للمبنى الجديد إلى الشمس التي تسطع على العالم. ويحيط بمبنى المكتبة من الخارج ٤٠٠٠ كتلة من حجر الجرانيت من أسوان، وهي مدينة على نهر النيل في جنوب مصر. وقد نُقِش على كل حجر حرف أو علامة من ٥٠٠ حرف من مختلف أبجديات العالم.

تتألف المكتبة الجديدة من سبعة طوابق فوق الأرض وأربعة طوابق تحت الأرض. كما توجد بالمكتبة الجديدة قبة سماوية تشبه

تلك التي كانت موجودة في المكتبة القديمة – ولكن لا يوجد حديقة للحيوانات!

تحتوي المكتبة حاليًا على أكثر من مليون كتاب. ويوجد بها مكتبة للأطفال ملحق بها قسم خاص بالمعاقين. كما تقدم المكتبة دورات للكتابة باللغة العربية، ورسم الخرائط، والعزف بالآلات الموسيقية المصرية القديمة.

وتقول شيماء سعد، أخصائي مكتبات؛ إن الشباب في المكتبة يمكنهم ممارسة القراءة، والحوار، والتعرف على أصدقاء جدد، والتطلع إلى المستقبل، والإبداع، إلى جانب مناقشة جميع القضايا الشخصية والسياسية، وأية قضايا أخرى تخطر على أذهانهم.

وفي عام ٢٠١٠م، تعرف عدد من تلاميذ الصف الرابع الابتدائي بمدينة الإسكندرية في مصر على أطفال آخرين من مدينة الإسكندرية بولاية فرجينيا ومنطقة سيلفر سبرينج بولاية ميريلاند، وذلك باستخدام برنامج المحادثة الإلكتروني «سكايب». واكتشفوا ما يجمع بينهم من أشياء كثيرة مشتركة؛ فهم يرتدون نفس أنواع الجينز والقمصان، ويأكلون البيتزا، ويفضلون نفس المطربين، والمصارعين المحترفين.

ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م

في يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ م، خرج المصريون بأعداد كبيرة في مسيرات اجتاحت الشوارع المصرية، أولاً في ميدان التحرير بالقاهرة، ومنها إلى الإسكندرية وغيرها من المدن الأخرى. نظّم الشباب العديد من المظاهرات من خلال موقعَي التواصل الاجتماعي فيسبوك وتويتر. وكان مطلبهم الأساسي هو تنحي الرئيس مبارك، الذي استمر في الحكم طيلة ثلاثين عامًا.

بدأت الاحتجاجات بشكل سلمي، ولكنها أسفرت في النهاية عن مقتل أكثر من ثمانمائة شخص. وتنحى الرئيس حسني مبارك مساء يوم ١١ فبراير.

وأغلق الدكتور إسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الإسكندرية؛ أبواب المكتبة أثناء الاحتجاجات، إلا أنه أشاد بالشباب الذين دافعوا عن المكتبة ضد أعمال البلطجة والتخريب وشكلوا دائرة حولها لحمايتها. وقال إن المكتبة ساهمت في نشر الأفكار الديمقراطية التي خرجت جموع المصريين تنادي بها. "ففي ثمانية عشر يومًا أذهلت العالم بأسره، اتحد الرجال والنساء، والصغار والكبار، والمسلمون والمسيحيون، والأغنياء والفقراء كما لم يتحدوا من قبل".

المراجع

Bibliotheca Alexandrina http://www.bibalex.org/

Sawa, Maureen. *The Library Book: The Story of Libraries from Camels to Computers*. Illustrated by Bill Slavin. Canada: Tundra Books, 2006

Trumble, Kelly. *The Library of Alexandria*. Illustrated by Robina MacIntyre Marshall. New York: Clarion Books, 2003.

كلمات من لافتات المتظاهرين

حريه

Ho-Rre-yyah Freedom

مصر

Misr Egypt

يد واحده

Yad Wah-Da One hand

الشعب

Al Shaab The citizens

الثورة

Al Thawrah The revolution

ديمقراطيه

Demo-Crah-Tey-Ya Democracy

رسالة من سوزان إل. روث

لو لم تتزوج صديقتي كارين ليغيت أبو ريا من زوجها المصري، ثروت، لما كانت قد أحبت مدينة الإسكندرية بهذا القدر. وبالتأكيد لولا الحكايات التي كانت ترويها كارين لي عن هذه المدينة الرائعة، لما فكرت في زيارة الإسكندرية والأهرامات وأبو الهول، خلال زيارتي الأولى إلى مصر في عام ٢٠٠٩ م.

عندما وصلت أنا وعائلتي إلى المكتبة، وقفنا مبهورين أمام هذا الصرح العظيم، وأشعة الشمس تتلألأ على أمواج البحر المتوسط. وترى المصريون يشترون الأسماك الطازجة لشيِّها على العشاء في نفس المكان الذي سرعان ما ستراهم يتظاهرون فيه، ويحمون مكتبتهم. عندما كتب الدكتور سراج الدين بكل فخر أن المكتبة لم يمسها سوء، وذلك بفضل شباب مصر، قررت حينها أنا وكارين أن نروي القصة.

خلال زيارتي لمكتبة الإسكندرية في عام ٢٠٠٩م، التقيت بشيماء سعد، أخصائي المكتبات بمكتبة الطفل، التي نظمت في وقت لاحق العديد من ورش العمل التابعة لمشروعي "لتس هولد هاندز" (www.letsholdhands.com) مع غاري وكاثي مورمان وفريق من طلابهما الذين يقومون بالتدريس جامعة ولاية أبلاشيان بولاية كارولاينا الشمالية. وسافرت الدمى الورقية التي تجسد بعض الشخصيات الواقعية، التي أعدها أطفال مصريون، إلى مركز دراسات السلام في بالتيمور، ولاية ميريلاند، وكذلك إلى جامعة ولاية أبلاشيان. كما عُرضت دمى من جميع أنحاء الولايات المتحدة في مكتبة الطفل بمكتبة الإسكندرية.

كما أنا دائمًا، لا تعرف أدواتي ولوحة ألواني أي حدود؛ فهذه الأدوات تتجاوز الأسلاك الشائكة والجدران الحجرية، وتخترق أية حدود. فلا يمكن أن ينشأ الأطفال على تأييد الحدود الغاضبة إذا ما تم تربيتهم، منذ الصغر، على حب القراءة والتكاتف والتعايش حول العالم.

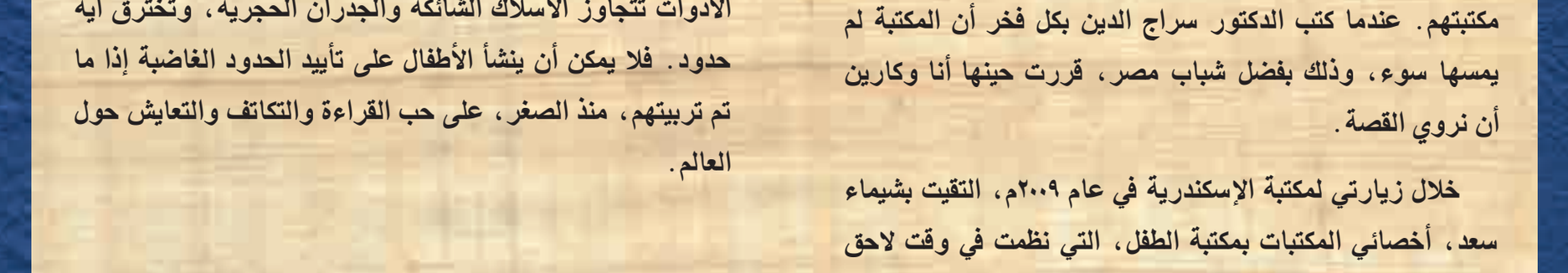

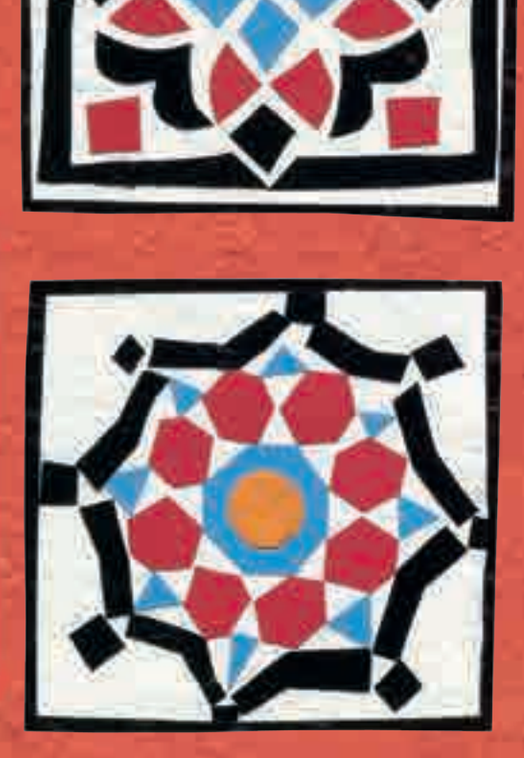

روث، سوزان إل.

أيادٍ حول المكتبة : حماية ثروة الكتب المصرية / تأليف سوزان إل روث، كارين ليجيت أبو ريا ؛ ترجمة مكتبة الإسكندرية. – الإسكندرية، مصر : مكتبة الإسكندرية، 2013.

ص. سم.

تدمك 978–977–452–230–4

يشتمل على إرجاعات ببليوجرافية.

1. مكتبة الإسكندرية الجديدة -- تاريخ. 2. المكتبات -- مصر -- الإسكندرية. 3. مصر -- تاريخ -- العصر الحديث -- ثورة 25 يناير 2011. أ. أبو ريا، كارين ليجيت. ب. مكتبة الإسكندرية. ج. العنوان.

ديوي – 962.055 2013664316

ناشر النسخة الأصلية الإنجليزية Dial Books for Young Readers

ISBN 978-977-452-230-4

© مكتبة الإسكندرية 2013، حقوق الطبع محفوظة

ترجمة: دينا المهدي، ريهام صلاح

تنسيق صفحات: جيهان أبوالنجا

عن التصميم الجرافيكي

استوحي تصميم الخلفيات الموجودة على بطن الغلاف الأمامي والخلفي من الكتاب من الحائط الجرانيتي المحيط بمبنى المكتبة، والذي نُقش عليه ٥٠٠ حرف من مختلف أبجديات العالم.

واستوحيت الزخارف المزركشة ذات الألوان الزاهية المستخدمة في تصميم الغلاف الأمامي والخلفي للكتاب، وتصميم حجاب أخصائية المكتبات، من نقوش الخيام (الشوادر) التي تنصب في الاحتفالات في شوارع مصر، مثل حفلات الزفاف.

كما ساعدني مشهد لافتات الاحتجاج الإبداعي المتجدد على تخيل المتظاهرين، ولذلك اخترتها لتكون العنصر الجرافيكي الأساسي في تكوين أغلب رسومات الكولاج الخاصة بالكتاب.

شكر وعرفان

إلى ثروت أبو ريا لما ساهم به من ترجمة عربية ومعلومات ثقافية؛ وإلى آدم أبو ريا لروعة صوره الفوتوغرافية؛ وإلى نادية أبو ريا لمساعدتها في إعداد الصور؛ وإلى شيماء سعد التي كانت مصدرًا أساسيًّا للمعلومات عن مكتبة الإسكندرية وعن المظاهرات التي شاركت فيها فعليًّا بمدينة الإسكندرية.

كما أشكر جامعة ولاية أبلاشيان (مارجريت جريجور، وكيت چونسون، وچين لورانس، وچيني ماكوري، وجاري وكاثي مورمان، وماري راتشيل)؛ ومدرسة برغندي في الإسكندرية بولاية فرجينيا (آن ڤان دوزين، وطلابها)؛ وكتب دايل للقراء الصغار (كيت هاريسون، ولوري هورنيك، وليلي مالكوم، وچاسمين روبيرو)؛ مدرسة فورست نولز الابتدائية في سيلفر سبرينج بولاية ماريلاند (سوزان عثمان، ودايفيد إيروزو، وطلابهما)؛ وأولجا جارتان؛ وبيتسي كرافت؛ ونانسي باتز؛ وآلانا روث؛ وچيسي روث؛ وخلود سعيد؛ وأنّا ستراك؛ وريم إبراهيم؛ وسيندي وودراف.